

الخدمات التطوعية

في الكتاب والسنة

مفهومها وأهميتها ومجالاتها

إعداد

د/ محمد سعيد بن محمد حسن بخاري

المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

دار الوطن للنشر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة

(مفهومها - وأهميتها - ومجالاتها)

إعداد
د. محمد سعيد بن محمد حسن بخاري
المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

دار الوطن للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب : ٣٣١٠

- البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت : www.dar-alwatan.com



المقدمـــة

أحمدك ربي حمداً يليق بجلالك وعظمتك، ويكافئ برك وإحسانك، ويستوجب المزيد من خيراتك وإكرامك، وأصلي وأسلم على قدوتنا في فعل الخير والإحسان وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهديه ومن تبعهم برضوان.

أما بعـد:

فعندما راودتني فكرة الكتابة في موضوع «**الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة**» لمؤتمر الخير المؤتمر العلمي الأول للخدمات التطوعية برحاب جامعة أم القرى بجوار حرم الله، وبدأت ببحث المراجع التي تتناول الموضوع، أيقنت أن الكتابة فيه تحتاج إلى صبر وجلد لندرة ما كُتب عنها، ولا مبالغة إن قلت لعدم الكتابة فيها، فتطلب مني البحث وإن قلَّ حجمه مزيداً من الاطلاع والاستقراء والتحليل.

ولتحديد مفهوم الخدمة التطوعية استقرأت من كتب اللغة والمعاجم جميع الألفاظ المقاربة لمعنى الخدمة والتطوع، ثم درست معانيها في اللغة بالتحليل لأصلَ إلى تحديد مفهوم الخدمة التطوعية.

ثم جمعت بعد ذلك جميع الآيات والأحاديث الواردة في معنى ومفهوم الخدمة التطوعية، ودرست كلَّ نص منها من

خلال كتب التفسير وشروح الأحاديث، ثم بوَّبت ما يصلح من تلك النصوص، وجعلت ما يناسب كلَّ فصل ومبحث في محله.

وعند صياغة البحث كنت أعمل فكري في دلالات النصوص، وقد كنت أضطر إلى الرجوع إلى أمهات كتب الأحاديث بحثاً عن طرق أخرى للحديث الواحد لأظفر فيه بلفظ يدل على ما استدللت عليه. وأحياناً كنت أرجع إلى مصادر كثيرة في التفسير لعلِّي أجد في تفسير الآية فهماً من أحد السلف المعتد بقولهم يعينني في الاستدلال على ما أردت. كل ذلك استغرق مني الجهد وأغلب الوقت الذي كنت أقضيه في أجازة التفرغ العلمي في هذه السنة، ولله الحمد على تهيؤ الظروف.

وفي نظري أن هذا البحث تأصيل لكثير من المفاهيم والأمور التي نمارسها في واقعنا العملي في مجال الخدمة التطوعية، وليس إلا لبنة من اللبنات التي تكشف عن أصالة بناء حضارتنا الإسلامية الخالدة.

وأسأل الله التوفيق والسداد.

* * *



الفصل الأول
مفهوم الخدمات التطوعية

* **تمهيد:**
* **المبحث الأول:** تعريف الخدمة.
* **المبحث الثاني:** تعريف التطوع.
* **المبحث الثالث:** مفهوم الخدمة التطوعية.
* **المبحث الرابع:** الألفاظ المقاربة للخدمة والتطوع.

أولاً: الألفاظ المقاربة للخدمة:

(البر، الإحسان، الخير، المعروف)

ثانياً: الألفاظ المقاربة للتطوع:

(التنفل، التبرع، الحسبة، التصدق).

الفصل الأول
مفهوم الخدمات التطوعية

تمهيد:

الخدمات التطوعية: يمكننا تعيين معناها بوضوح ودقة، وتحديد مفهومها، من خلال تعريف مفرداتها، كل لفظة على حدة، وبالنظر في معانيها التي استخدمت في اللغة.

ولفظ «**الخدمات**» جمع، مفرده «**خدمة**» لم يتناوله علماء اللغة بالدراسة والإيضاح في المعاجم في مادة «خدم»، ولعلَّ ذلك إما بسبب وضوح معناها أو لعدم «استيعاب أصحاب المعاجم جميع ألفاظ اللغة العربية في مصنفاتهم»(١).

إذاً فإني أجتهد برأيي في تعريف معنى «الخدمة» وتحديد مفهومها، ثم أعرف التطوع، ثم أوضح مفهوم الخدمة التطوعية في اصطلاح المشتغلين في هذا المجال.

المبحث الأول: تعريف الخدمة:

قال أهل اللغة: الخدمات: جمع، مفرده: خِدمة بكسر

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة: بيروت (ص٣٤)، حيث ذكر أن الجوهري فاته في الصحاح نصف اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة، فكتب بالحمرة المادة المهملة لديه.

الخاء اسم، وبفتحها مصدر، ويقال: خدم، يَخْدِم ويَخْدُم، الخادم: للذكر والأنثى.

ويقال للأنثى: خادمة أيضاً، لغة فصيحة.

والخُدَّام: جمع، والخَدَم: اسم للجمع.

وتخَدَّمْت خادماً: أي اتخذت، وقوم مخدمون: أي مخدومون يراد به كثرة الخدم والحشم(١).

هذا مجمل ما ورد في كتب المعاجم، فلم يتعرض أحدهم بإيضاح معاني اللفظة واستخداماتها، فأقول:

الخدمة: هو ما تقدمه من عمل فيه نفع عموماً، وقولنا في التعريف «**عمل فيه نفع**». إذا أمعَنَّا النظر في الأعمال التي فيها نفع يمكننا تقسيم تلك الأعمال إلى قسمين:

١ ـ أعمال نفعها قاصر على العامل نفسه:

مثل الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وأنواع الذكر (كالتسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ، والدعاء، والمشي إلى المساجد، والجلوس فيها للصلاة، واستماع الذكر، واكتساب الحلال والتحري فيه، ومحاسبة النفس، والندم والتوبة، والتفكير في آلاء الله، وغيرها من أعمال القلوب: كالخشية، والمحبة، والرجاء، والتوكل وغيرها. فهذه الأعمال نفعها قاصر على العامل

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت (١٢/ ١٦٦).

نفسه.

٢ ـ أعمال نفعها متعدٍّ للغير:

مثل: إمامة المصلين، والأذان، والقيام بخدمة المسجد، وتعليم القرآن الكريم والعلوم، وتعليم الأخرق[١] صنعة، والصدق والإنفاق، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعانة ذي الحاجة، وإغاثة الملهوف، وإزالة الأذى عن الطريق، وإسماع الأصم، والبيان للأغتم[٢]، وهداية الأعمى وغيره الطريق، وإسداء أي معروف، والإحسان إلى البهائم والحيوانات[٣].

هذه الأعمال نفعها متعد للآخرين.

وإذا اتضح هذا القسم للأعمال في تصورنا، فإننا سنقصر دراستنا على القسم الثاني من الأعمال التي نفعها متعد للآخرين، ولا نتناول في بحثنا صلاة التطوع ولا صيام التطوع وغيرهما من التطوع في الأعمال التي نفعها قاصر على العامل نفسه؛ لأنه خارج عن طبيعة موضوع دراستنا.

وبعد هذا يمكنني تعريف الخدمات في اصطلاح المشتغلين

---

(١) الأخرق: الأحمق: الجاهل الذي لا يُحسن الصنعة (تاج العروس ١٣/ ١١٠).

(٢) الأغتم: الأعجم، وهو من لا يفصح شيئاً، والغمة: العجمة في المنطق (تاج العروس ١٧/ ٥١٥).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي بتصرف (٢٣٥).

في هذا المجال بأنها «**ما يقدَّم من عمل فيه نفع متعد للآخرين**».

المبحث الثاني: تعريف التطوع:

التطوع في اللغة: تكلف الطاعة، أو التبرع بما لا يلزم من الخير، ولا يقال تطوع إلا في باب الخير والبر(١).

وقال الأزهري: التطوع: ما تبرعه من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه(٢).

وقال ابن الأثير: أصل المطوع، المتطوع، فأدغمت التاء في الطاء، **وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه**، وهو تفعلٌ من الطاعة(٣).

وقال غيره: **كل متنفل خير تبرعاً فهو متطوع**(٤).

ونستخلص من أقوال أهل اللغة: أن التطوع يراد منه: القيام بأعمال الطاعة والخير مما لا يلزمه، متبرعاً بها من نفسه.

فيشمل تعريفهم للتطوع الأعمال بقسميها: ما نفعها قاصرٌ، وما نفعها متعدٍّ.

المبحث الثالث: مفهوم الخدمة التطوعية:

سبق أن عرَّفنا **الخدمة بأنها**: ما يُقدَّم من عمل فيه نفع

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٤٣١).
(٢) المفردات، للراغب الأصبهاني، (٣١٠).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٤٢).
(٤) تاج العروس (١١/ ٣٣٠).

للآخرين.

والتطوع: هو القيام بعمل خير مما لا يلزمه متبرعاً به من نفسه.

بهذا يمكننا تحديد مفهوم الخدمة التطوعية عند المشتغلين في هذا المجال بتعريف جامع مانع وهو: **ما يقدَّم من أعمال الخير التي نفعها متعد للآخرين مما لا يلزمه متبرعاً**.

المبحث الرابع: الألفاظ المقاربة للخدمة:

تمهيد: لتوضيح الخدمات التطوعية ولتكون الدراسة شاملة يستلزم منا البحث دراسة الألفاظ المقاربة لمعنى الخدمات وحصرها للانطلاق من خلالها في نصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء الشريعة، فمن تلك الألفاظ التي وقفت عليها: البر والخير والإحسان والمعروف، كما أن في اللغة ألفاظاً مقاربة للتطوع مثل: التنفل، والاحتساب، والصدقة، سنتناولها بالدراسة من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أيضاً.

أولاً: الألفاظ المقاربة للخدمة:

١ ـ البــر: وهو ضد الإثم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، ذكر العلماء معاني عديدة للبرِّ فمنها: أن البرَّ يكون بمعنى: الصلاة، وبمعنى: الخير، وبمعنى: الصدق، وبمعنى: اللطف، والمبرة، وحسن العشرة والصحبة، ولين الجانب، واحتمال

الأذى، والاتساع في الإحسان إلى الناس، وبمعنى: الطاعة بسائر أنواعها(١).

وأقتصر على ذكر بعض ما ورد من تلك المعاني، مما لها تعلق ببحثنا.

قال ابن منظور: البر: الصدق والطاعة، وفي التنزيل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال الزجاج: قال بعضهم: كلُّ ما تقرب به إلى الله من عمل خير فهو إنفاق، وفي التنزيل: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال أبومنصور: البر خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا ما يسَّره الله تبارك وتعالى للعبد من الهدي والنعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم في الجنة(٢).

وقال الراغب: البر: هو التوسع في فعل الخير(٣).

ونستخلص من تعريفات العلماء أن البر في اللغة يراد منه: **أعمال الطاعة وفعل الخير، وكذلك يشمل الأعمال التي نفعها متعدٍّ والأعمال التي نفعها قاصر**، وبحثنا لا يشمل الأعمال

---

(١) تاج العروس (٦/ ٦٩، ٧٠).

(٢) لسان العرب ٤/ ٥١، ٥٢.

(٣) المفردات، للراغب الأصبهاني، ٤٠.

التي نفعها قاصر وكذلك الواجبات «أعمال الطاعة» فيمكننا تعريف البر في اصطلاح المشتغلين في هذا المجال، بأنه فعل الخير مما نفعه متعد للآخرين.

٢ ـ **الإحسان**: في اللغة: ضد الإساءة. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ويراد منه أحد معنيين: حسن الطاعة، وذلك بالإخلاص، ومراقبة الله والإنعام على الغير، بالإحسان إليهم[(١)].

وقال الراغب في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]: فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجبٌ، وتحري الإحسان ندبٌ وتطوع[(٢)].

فالإحسان المتعلِّق بدراستنا هو الذي يُراد منه معنى: الإنعام على الغير؛ لأننا قد استبعدنا في دراستنا «الطاعات الواجبة».

٣ ـ **الخير**: في اللغة: ضد الشر. قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].

---

(١) تاج العروس، ١١/١٤٢، لسان العرب، ١٣/١١٧.
(٢) المفردات، للراغب الأصبهاني، ١١٩.

ويطلق على عدة معان منها: المعروف، المال، الخيل، الرجل الكثير الخير، المرأة الصالحة في دينها الحسنة في أخلاقها[١].

قال الراغب: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع[٢].

ويمكننا تعريف الخير في الاصطلاح: بأنه كل ما فيه نفع يرغب فيه الناس.

٤ ـ **المعروف**: في اللغة: ضد المنكر. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال الراغب: اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حسنه[٣].

وقال ابن منظور: وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسَّنات إذا رأوه لا ينكرونه[٤].

ثانياً: الألفاظ المقاربة للتطوع:

١ ـ **التنفل في اللغة**: التطوع[٥]: وأصله من النفل وهو

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦، تاج العروس، ٦/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠.
(٢) المفردات، للراغب الأصبهاني، ١٦٠.
(٣) المفردات، للراغب الأصبهاني، ٢٣١.
(٤) لسان العرب، ٩/ ٢٤٠.
(٥) لسان العرب، ١١/ ٦٧٢.

الزيادة على الواجب. قال تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، والنفل والنافلة يراد منهما في اللغة: ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه، أو الغنيمة، أو عطية التطوع من حيث لا يجب، أو ولد الولد[١].

فالتنفل هي الكلمة المرادفة للتطوع في اللغة، إلا أني لم أقف على استخدام التنفل «وهو التطوع» في القيام بأعمال الخير، وإنما قصروها على أعمال الطاعة «العبادة» فإذا قيل: تنفل فالمراد: صلى النوافل.

٢ ـ **التبرع**: يقال تبرع فلان بالعطاء: أي تفضَّل بما لايجب عليه، أو أعطى من غير سؤال[٢].

وفي الصحاح: فعله متبرعاً أي متطوعاً[٣].

وفي استخدام اللغويين لكل من التطوع والتبرع نجد أن بينهما عموماً وخصوصاً حيث جعلوا التطوع عموماً في الطاعات والعطاءات، بينما قصروا التبرع في العطاءات فقط.

٣ ـ **الحسبة**: الحسبة: اسم، وهو الأجر، تقول فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاحتساب: طلب الأجر، ويكون في الأعمال الصالحات باستعمال أنواع البر والقيام بها

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٦٧١، تاج العروس، ١٥/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٢) لسان العرب، ٨/ ٨.
(٣) تاج العروس ١/ ٤٢٢.

طلباً للثواب، ويكون عند المكروهات بالتسليم والصبر طلباً للأجر.

وفي حديث عمر: أيها الناس، احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته[١].

ونستخلص من تعريف اللغويين أن الاحتساب عندهم يراد منه: **القيام بأعمال البر بدون أجر ابتغاء للثواب من الله، والصبر والتسليم عند المصائب.**

والمعنى الأول هو المعنيّ بدراستنا هذه، فيمكن تعريف الحسبة في اصطلاح المشتغلين في هذا المجال بأنها: عدم أخذ أجر على تقديم أعمال خير فيها نفع متعد للآخرين، ابتغاء ثواب الله.

٤ ـ الصدقة:

قال ابن منظور: ما أعطيته في ذات الله الفقراء[٢].

وقال الجرجاني: الصدقة: العطية يبتغي بها المثوبة من الله تعالى[٣].

وقال الراغب: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوَع به، والزكاة

---

(١) لسان العرب، ١/ ٣١٥.
(٢) لسان العرب، ١٠/١٩٦.
(٣) التعريفات، ١٣٢.

للواجب، وقد يسمَّى الواجب: صدقة، إذا تحرى صاحبها الصدق، كما ورد في آيات كثيرة.

ويقال لما تجافى عنه الإنسان من حقه تصدق به، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فسمى إعفاءه صدقة(١).

بهذا نجد أن علماء اللغة أطلقوا الصدقة على كل ما أعطي تطوعاً، وعلى ما تنازل به عن حق من حقوقه.

والمعنى الأول هو الذي تدور عليه «الصدقة» عند ورودها في دراستنا.

الخلاصة:

فهذه هي الألفاظ المقاربة لمعنى الخدمات: البر وضده الإثم، والإحسان وضده الإساءة، والخير وضده الشر، والمعروف وضده المنكر، **ألفاظ جامعة تشترك في معنى تقديم وإيصال المنافع والإنعام على الغير مما يرغب فيه الناس بطبعهم.**

وشاركت الألفاظ: التنفل، والتبرع، والاحتساب، والتصدق معنى التطوع.

فالتنفل هو التطوع، وقد اقتصر استخدامه في الأعمال القاصرة نفعها «العبادات»، **والتبرع**: هو العطاء بما لا يجب

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٢٧٨.

عليه، وكذا **التصدق**: إعطاء الفقراء والمحتاجين في ذات الله، **والاحتساب**: فهو فعل الخير والبر طلباً للأجر والثواب من الله تعالى.

فالتطوع متضمن للفعل والعطاء مما لا يجب عليه بدون مقابل دنيوي طلباً لأجر الله وثواب الآخرة.

فالخدمات التطوعية في الإسلام، لا تكون بحال من الأحوال خارجة عن مجال فعل الخيرات والمبرات وإيصال المنافع، والإنعام على الغير والإحسان إلى البهائم - بما ركز الله في طبائع البشر ونفوسهم من معرفتها والرغبة فيها - بدون عوض دنيوي ابتغاء مرضاة الله ونعيم الآخرة.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني
أهمية الخدمات التطوعية

* **المبحث الأول:** فضائل الخدمات التطوعية.
١ ـ تورث محبة الله للعبد.
٢ ـ يحصل بها على الخير والحسنات في الدنيا.
٣ ـ ينال بها الأجر العظيم في الآخرة.

* **المبحث الثاني:** آثار وثمرات الخدمة التطوعية على الفرد والمجتمع:
أولاً: آثارها على الفرد «المتطوع».
ثانياً: آثارها على المجتمع.

الفصل الثاني
أهمية الخدمات التطوعية

تظهر أهمية الخدمة التطوعية في الإسلام بمعرفة فضائل هذا العمل وما رتب الله عليه من أجر في الدنيا والآخرة، وكذلك معرفة آثار وثمرات الخدمة التطوعية للفرد والمجتمع.

المبحث الأول: فضائل الخدمات التطوعية:

١ - تورث محبة الله تعالى للعبد:

وهذه أغلى مطالب كل مسلم، وهو أن يحظى بمحبة الله له، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «**اللهم ارزقني حبَّك وحبَّ من ينفعني حبُّه عندك**»(١).

وقد وعد الله المحسنين عموماً ومنهم الذين يتطوعون في فعل الخيرات بالمحبة في آيات عديدة، ووَعْدُ الله واقعٌ لا محالة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب (٧٤)، (ح٣٤٩١)، (٥/ ٥٢٣)، وقال: حديث حسن غريب.

[البقرة: ١٩٥]. ومن نال محبة الله فقد حاز على شرف الدنيا والآخرة، وأحبه الرسل والأنبياء والملائكة، ووُضع له القبول في الأرض.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض»**[1]. ومن أراد هذه المنزلة ـ محبة الله له ـ فليتنافس في التطوع في أعمال البر والإحسان وليكن من المحسنين.

٢ ـ يحصل بها على الخير والحسنات في الدنيا:

وهذه من أغلى أماني كل عبد أن يحصل على الخير والحسنات في الدنيا، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ: **«اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب المقة من الله (١٠/ ٤٧٦ فتح)، ومسلم في البر، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، (ح٢٦٣٧)، (٤/ ٢٠٣٠)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٦٧، ٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: **«ربنا آتنا في الدنيا** حسنة» (ح٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء بـ «اللهم آتنا في الدنيا حسنة» (٢٦٩٠)، وأبوداود في الصلاة باب في الاستغفار، (١٥١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٥٦).

وقد ورد في تفسير «**الحسنة في الدنيا**» أنها العافية[١]، والعلم والعبادة[٢]، والرزق الطيب والعلم النافع[٣]، والمرأة الصالحة[٤]، والثناء[٥]، والمال[٦].

ولقد وعد الله المحسنين ومن الأولى المتطوعين في فعل الخيرات والإحسان بهذا الخير الوافر، فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، بل وعدهم بأكثر مما يقدمونه من الإحسان فقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

ولقد قصَّ لنا القرآن الكريم في سورة الأنبياء من الآية (٤٨) إلى الآية (٩٠) قصص بعض الأنبياء والرسل صلوات الله

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢/ ١٧٥) من قول قتادة.
(٢) انظر: تفسير الحسن البصري (١/ ٣٠)، رقم (٢٦٠).
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢/ ١٧٥)، من قول سفيان.
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٦١) لابن أبي حاتم من قول محمد بن كعب.
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٦١) لابن المنذر من قول سالم بن عبدالله بن عمر.
(٦) أخرجه الطبري في التفسير (١/ ١٧٥) من قول السدي.

عليهم، وبدأ بذكر موسى وهارون، وأعقبه بقصة إبراهيم ومقاومته الشرك ومحاجته قومه ونجاته من ضر النار، ثم ذكر الله تعالى نجاة لوط وإكرامه بالعلم والحكمة والنبوة، ثم ذكر قصة نوح ونجاته وأهله من الكرب العظيم ونصره على قومه المكذبين، ثم ذكر داود وسليمان وما أوتياه من العلم والحكمة والنبوة وتسخير الرياح والشياطين له، ثم ذكر أيوب وكشف الضر عنه وإعطاءه الأولاد والبنات، ثم نوَّه الله بذكر صبر إسماعيل وإدريس وذي الكفل ورحمة الله بهم، ثم ذكر نجاة يونس من الغمِّ، ثم ذكر زكريا وأنه استجيب له ولم يُترك فرداً وأصلح له زوجه ورزقه منها الولد، كل ذلك حصل بسبب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩].

قال بعض المفسرين: «قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ . . .﴾ الآية. جملة واقعة موقع التعليل للجمل المتقدمة ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فضمائر الجمع عائدة إلى المذكورين[(١)]. وحرف التوكيد في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي (١٧/ ٨٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٤)، تفسير القاسمي (١١/ ٤٣٠٥)، زاد المسير في التفسير (٥/ ٣٨٥)، التنوير والتحرير (١٧/ ١٣٧).

مفيد معنى التعليل والتسبب، أي ما استحق الأنبياء والرسل ما أوتوه من النصرة والنجاة واستجابة الدعاء وغيرها إلا لمبادرتهم إلى عمل الخيرات وجدِّهم في تحصيلها[١].

والمسارعة في الخيرات: هو الحرص والجد في فعل الخيرات وهو كل ما فيه نفع[٢].

لقد حصل للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم بسبب تطوعهم في فعل الخيرات ما حصل من النصرة والنجاة واستجابة الدعاء والإمداد بالأولاد وغيرها في الحياة الدنيا. فهل يحصل ذلك أيضاً للمتطوعين في أعمال البر والإحسان من غير الأنبياء والرسل؟ قال تعالى عن نوح: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٥ ـ ٨٠]، فما حصل لنوح من النجاة والأمان وحفظ الذرية يحصل للمحسنين أيضاً ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١١/ ٩١٩٩)، وفتح القدير (٣/ ٤٢٤).
(٢) انظر: التنوير والتحرير (١٣٦/١٧).

وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٤ - ١٢١].

وليس بعيداً أن يحصل للمتطوعين المحسنين ما حصل لموسى وهارون من النجاة والنصرة والهداية والأمان.

ونخلص من هذا إلى أن المتطوعين في أعمال البر وعدهم الله في الدنيا بالصحة والعافية، والعلم النافع، والعبادة، والرزق الطيب، والمرأة الصالحة، والمال، والثناء الحسن، ووعدهم بما حصل لأنبيائه ورسله من النصرة والنجاة واستجابة الدعاء، والهداية والأمان، وحفظ الذرية.

فماذا ينتظر بعد هذا من تقاعس عن التطوع في فعل الخيرات والبر والإحسان؟

٣ ـ ينال بها الجر العظيم في الآخرة:

وهذه غاية مقصد كل مسلم أن ينعَّمَ في الدرجات العلى من الجنة. ولقد وعد الله «**من جاء بالحسنة**»[١]، ومنهم المتطوعون في أعمال البر والإحسان أنهم آمنون من فزع يوم البعث من القبور، يوم ينفخ في الصور ليوم الحشر

---

(١) **قال الشوكاني**: «بالحسنة» الألف واللام للجنس، أي من جاء بجنس الحسنة فله من الجزاء والثواب عند الله خير منها. وقيل: المراد بالحسنة هنا: لا إله إلا الله. وقيل: هي الإخلاص. وقيل: أداء الفرائض. والتعميم أولى ولا وجه للتخصيص وإن قال به بعض السلف (فتح القدير ٤/ ١٥١)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ٥٢).

والنشور[١]. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وهؤلاء المستثنون من الفزع هم على الراجح[٢] من ذكروا في الآية التي تليها في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

ويشهد لهذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**من فرَّج عن مسلم كربة، فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»[٣]، وقول علي رضي الله عنه: «**إن الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه لخلقه، فجعلهم للناس وجوهاً وللمعروف أهلاً، يفزع**

---

(١) **قال الشوكاني**: النفخات في الصور الثلاث: الأولى نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث. وقال الماوردي: هذه النفخة المذكورة هنا يوم النشور من القبور (فتح القدير ٤/ ١٥٠).

(٢) **قال الشوكاني**: واختلف في تعيين من وقع الاستثناء له، فقيل: هم الشهداء والأنبياء، وقيل: الملائكة، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقيل: الحور العين، وقيل: هم المؤمنون كافة بدليل قوله تعالى فيما بعد ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ ويمكن أن يكون الاستثناء شاملاً لجميع المذكورين فلا مانع من ذلك (فتح القدير ٤/ ١٥٠). وانظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٩٧) في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، ومسلم في البر والصلة باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٦)، وأبوداود (٤٨٩٣)، في الأدب، باب المؤاخاة، والترمذي في الحدود، باب ما جاء في الستر على المسلم (١٤٢٦)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٩١)، والبيهقي في السنن (٦/ ٩٤، ٨/ ٣٣٠) بأتم من اللفظ المذكور هنا.

الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون يوم القيامة»[(١)].

وبعد أن أمنوا أهوال يوم القيامة لخلاصهم من فزع بدايته وهو يوم البعث من القبور يساقون إلى جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٤]، بل لهم النعيم في الجنة وزيادة، قال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. والزيادة: هي لذة النظر إلى وجه الله الكريم. فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. قالوا: ألم تبيض وجوهنا، وتنجنا من النار، وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب. قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه»**[(٢)].

---

(١) إسناده صحيح وهو موقوف، وأخرجه الخطيب في الموضح لأوهام الجمع (٢/ ٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه (١٨١)، والترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الله (٢٥٥٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٢)، والآجري في التصديق بالنظر (٣٤، ٣٥، ٣٦)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٢٤)، وفي الأسماء والصفات (ص٣٠٧)، والبعث والنشور (٤٤٦).

فاللهم إنا نسألك حبك وحبَّ التطوع في أعمال الخير مما يقربنا إلى حبك، وينجينا من أهوال يوم القيامة، وأن ترزقنا الجنة ولا تحرمنا من لذة النظر إليك. آمين.

المبحث الثاني: آثار وثمرات الخدمات التطوعية على الفرد والمجتمع:

من خلال تجربتي المتواضعة في ميدان الخدمة التطوعية يمكنني تلخيص آثارها فيما يلي:

أولاً: آثارها على الفرد «المتطوع»:

١ ـ شغل أوقات الفراغ بعمل مثمر:

يشكو كثير من الشباب الممتلئ حيوية ونشاطاً من سعة في الوقت وخاصة في الإجازات والعطل، وقد تصبح لدى البعض منهم «مشكلة فراغ»، وكذلك مثلهم بعض المتقاعدين عن العمل الذين حنكتهم التجربة والخبرة، فهؤلاء وكل مسلم مسئول عن جميع وقته، يحاسب على كل لحظة فيم قضاها. فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[1]. وفي رواية أخرى: «**وعن شبابه فيم**

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القيامة باب في القيامة (٤/ ٦١٢) (٢٤١٧). وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه أبويعلى في مسنده (١٣/ ٤٢٨) =

أبلاه»[١].

فلذا وجَّه الرسول الأكرم ﷺ الإنسان أن يغتنم شبابه وحيويته ونشاطه وفراغه بما يعود عليه بالخير في دنياه وآخرته فقال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[٢]. وفي مشاركة الشباب والمتقاعدين في الخدمة التطوعية شغل لأوقات فراغهم بما فيه نفع في دنياهم وآخرتهم.

٢ ـ كسب خبرات في العمل ومعارف في الحياة:

المتطوع في الخدمة التطوعية يمكنه التنقل في الوظائف العديدة بحكم تطوعه، فيعمل في الأعمال التنفيذية والإشرافية وغيرهاحسب ميوله واجتهاده وجده وإنتاجه، وقد تتهيأ له الظروف أن يشارك القياديين في اجتماعاتهم، ويشاركهم في الرأي وصنع القرار، فهذا كله يكسبه خبرات كبيرة في العمل في مدة وجيزة. وتعامله مع فئات متنوعة من طبقات المجتمع من العاملين في نفس المجال أو المستفيدين من الخدمات

= (٧٤٣٤)، وأبونعيم في الحلية (١٠/ ٢٣٢)، والخطيب في اقتضاء العلم العمل، ص١٦.

(١) انظر: الترمذي حديث رقم (٢٤١٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦) وصححه ووافقه الذهبي.

يكسبه الحكمة والمعرفة بالحياة.

قال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]. نعم وعد الله المحسنين أن يؤتيهم حكماً وعلماً[1] بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، والحكم: هي الحكمة، وتأتي نتيجة خبرة وتجربة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والعلم: هو المعرفة بالله، والمعرفة بخلق الله وشئون الحياة.

٣ ـ اكتساب ملكات وقدرات نفسية تدفعه لسلوك قويم:

المتطوع في الخدمات التطوعية يصحب فئتين من الناس: العاملين معه وهم من صفوة المجتمع ومنهم أساتذة كبار، وفئة أخرى هم المستفيدون من الخدمات وهم الفقراء والمساكين والمعوزون من الأرامل واليتامى الذين يحتاجون إلى الرحمة والعطف والإحسان. وبطبيعة عمله وتعامله مع هؤلاء يكتسب المتطوع الصبر والحلم والتواضع والعفو وحب المساكين وغيرها من الملكات والقدرات النفسية التي حثَّ عليها الإسلام وعدَّها من محاسن الأخلاق ومكارم الصفات،

---

(١) ورد في تفسير الحكمة عدة أقوال أرجحها أن المراد بها: الحكمة عموماً وخاصة في هذه الآية. (تفسير الفخر الرازي ١٢/١٥٨)، وتفسير الطبري (٢٠/٢٨)، والدر المنثور (٦/٣٩٧)، وتفسير فتح القدير (٤/١٥٨).

ومَنْ تحلَّى بها سلك سلوكاً قويماً، وفرض على الآخرين محبته واحترامه.

ثانياً: آثار الخدمات التطوعية على المجتمع:

١ ـ توفير الطاقات البشرية المتنوعة والمتخصصة لتنمية وتأهيل المجتمع:

التطوع في الخدمات هو السبيل الأمثل لكثير من المؤسسات الخيرية لاستقطاب التخصصات النادرة والخبرات المتخصصة التي تحتاجها في أعمالها لتنمية المجتمع؛ إذ إنها تعجز عن توفير ذلك عن طريق التوظيف لارتفاع الأجور، ولكن إذا عرفت تلك الطاقات أن الأمر فيه تطوع واختيار فقد تلبي النداء لوجود دوافع كثيرة لها غير حب المال، فبذلك ترفع تلك المؤسسة من مستوى أدائها وتأهيل عامليها لتصل إلى تنمية المجتمع من خلال خطط وبرامج مدروسة، وتحقق أهدافها في زمن قياسي.

٢ ـ توفير كثير من الأموال لصرفها على مشاريع تنموية تخدم المجتمع:

فلو أرجعنا مثلاً بعض الوظائف إلى أصلها الشرعي وهو عدم أخذ الأجرة على العمل مثل: الأذان فقد ورد عن عثمان بن أبي العاص أنه قال: «**آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ**

أن أتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً»[١]، عندها توفر الأجور لتدفع لإقامة مشاريع تنموية تعود على المجتمع بخير.

٣ - تحقيق روح المحبة والتعاون والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع:

دينا الحنيف أقام العلاقات بين الناس على أساس من الأخوة، وأصل هذه الأخوة هو العقيدة المشتركة **«وكونوا عباد الله إخوانا»[٢]**، **«المسلم أخو المسلم»[٣]**.

ولن تقوم هذه الأخوة وتستقر إذا احتاج أحد الإخوة وتركه الآخرون وهو ينظر إليهم فلا يمدون له يداً بمعونة. إن هذا معناه تقطيع الأواصر بين الأخوة، وإيقاد نار الكراهية والحسد

---

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يأخذ المؤذن أجراً (١/٤٠٩) وقال: حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يأخذ المؤذن على الأذان أجراً، واستحبوا للمؤذن أن يحتسب في أذانه. وأخرجه الإمام أحمد (٤/٢١، ٢١٧)، وأبوداود في الصلاة، باب أخذ الأجر على التأذين (١/١٤٦)، والنسائي في الأذان، باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً (٢/٢٣).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في الأدب باب الهجرة (٦٠٧٦ فتح)، ومسلم في البر والصلة، باب تحريم التحاسد (٢٥٥٩)، وأبوداود في الأدب فيمن يهجر أخاه (٤٩١٠)، والإمام أحمد (٢/١٠٠، ١٦٥، ١٩٩، ٢٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في المظالم (٥/٩٧)، ومسلم في البر والصلة (٤/١٩٩٦)، وأبوداود في الأدب (٤٨٩٣) بتمامه.

في صدر المحروم الفقير ضد الغني، وهذا ما يقف الإسلام دونه ويحدُّ دون وقوعه.

ولقد عمل الإسلام على اقتلاع أسباب الحقد والكراهية واستئصال جذورها من المجتمع، فأمر بإطعام الجائع وكسوته، وإغاثة اللهفان، وإعانة ذي الحاجة، وتعليم الأخرق صنعة، والبيان عن الأغتم، وهداية الأعمى، والإصلاح بين الناس، وقرض الدراهم، وإسداء المعروف، فيشعر الناس أنهم إخوة بعضهم أولياء بعض، وأن ما عند الآخرين من مال ومنافع هي لهم عند الحاجة لها، ويحس الفرد أن قوة أخيه قوة له إذا ضعف فتسود المحبة والإخاء.

ولا شك أن المستفيدين من الخدمات التطوعية في الغالب هم نفس المستحقين لأموال الزكاة، فبدل أن تقدم إليهم الأموال والأعيان تقدم إليهم خدمات يحتاجونها مثل: الخدمات الطبية والتعليمية والتدريبية والتأهيلية وغيرها. وكما لا يخفى على كل ذي بصيرة أن الزكاة تحقق أهدافاً اجتماعية، وتؤدي إلى تماسك المجتمع والتكافل فيما بين أفراده، كذلك تقديم الخدمات للمحتاجين من الفقراء والأرامل والأيتام والعاجزين تحقق نفس الأهداف، ومنها التكافل الاجتماعي.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث
مجالات الخدمات التطوعية في القرآن والسنة

١ ـ مجال الدعوة والإرشاد.
٢ ـ خدمات الحج والعمرة.
٣ ـ مجال الرعاية التعليمية.
٤ ـ مجال الرعاية الاجتماعية.
٥ ـ مجال الرعاية الطبية.
٦ ـ التدريب المهني والتأهيل.
٧ ـ خدمات البيئة وتنمية المجتمع.
٨ ـ الإغاثـــة.
٩ ـ الرفق بالحيوان.

الفصل الثالث
مجالات الخدمات التطوعية في القرآن والسنة

بتتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد آيات معدودة أشارت بإجمال دون تفصيل إلى الخدمة التطوعية «أعمال البر والخير والإحسان» كقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]. فهذه الآيات تحث على فعل الخير والتطوع في الخدمات إجمالاً فيشمل جميع أعمال البر والإحسان عموماً.

وفي نصوص السنة النبوية المطهرة نجد تفصيل تلك الأعمال حيث وردت أحاديث كثيرة في بيان وتفصيل مجالات الخدمة التطوعية، وبتصنيف تلك الأحاديث نجد أنها تناولت الخدمة التطوعية في المجالات التالية.

١ ـ مجال الدعوة والإرشاد.

٢ ـ خدمات الحج والعمرة.

٣ ـ مجال الرعاية التعليمية.

٤ ـ مجال الرعاية الاجتماعية.

٥ ـ مجال الرعاية الطبية.

٦ ـ التدريب المهني والتأهيل.

٧ ـ خدمات البيئة وتنمية المجتمع.

٨ ـ الإغاثـــة.

٩ ـ الرفق بالحيوان.

وسأشير في هذه الدراسة إلى بعض تلك الآيات والأحاديث التي دلَّت على ذلك، إذ الوقوف عندها بتفصيل وتوضيح كل مجال من تلك المجالات ببيان أهميته وفضله وموقف الإسلام منه، وإعطاء نماذج واقعية من سيرة الرسول ﷺ وحياة صحابته ومن بعدهم من سلف الأمة يحتاج إلى كتاب كبير ودراسات وأبحاث عديدة.

أولاً: مجال الدعوة والإرشاد:

الدعوة إلى الله وحده وإرشاد الخلق وهدايتهم هو أصل دعوة الرسل الذين لم يطلبوا من الناس عليها أجراً ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١) [الشعراء: ١٠٩].

ويدخل في هذا المجال: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والمرابطة في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) وقد فصّلت الأدلة عليها في بحث: الرسل صلوات الله عليهم لم يطلبوا أجراً على فعلهم الخيرات وأداء وظيفتهم.

المنكر، وإمامة المصلين والأذان، وإلقاء الخطب والمواعظ والقضاء والإفتاء. ولقد كثرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على هذه الأعمال وإخلاص العمل فيها لله تعالى ابتغاء الأجر والثواب، وعدم أخذ أجرة على القيام بذلك والتطوع فيه. وكتب التفسير والأحاديث والفقه حافلة بتلك النصوص ومبوَّبة بحيث يسهل الوقوف عليها مما جعلني أكتفي بالإشارة إليها وعدم الإطالة فيها.

ثانياً: خدمات الحج والعمرة:

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] يدل على مشروعية الخدمة التطوعية[1]. وقد وردت في سياق ذكر عملٍ من أعمال الحج والعمرة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

والدليل الآخر على مشروعيته، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

ففي ورود دليل مشروعية الخدمة التطوعية في سياق ذكر عمل من أعمال الحج والعمرة، والدليل الآخر في سورة الحج

---

(١) انظر مبحث: مشروعية الخدمة التطوعية في القرآن الكريم فقد فصّلت القول فيه ودلالته على المشروعية.

فيه إشارة لطيفة لأهمية التطوع في مجال خدمات الحج والعمرة وتنبيه لجميع القائمين بخدمة الحجاج من مطوفين وأدلاء وغيرهم أن يتطوعوا خيراً ولو بجزء مما يقدمونه؛ لأن فيه فلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

وذكر الأزرقي: أن عبد مناف كان يحمل الماء في الروايا والقِرب إلى مكة ويسكبه في حياض من أدم بفناء الكعبة للحجاج، ثم فعله ابنه هاشم بعده ثم عبدالمطلب، فلمّا حفر زمزم كان يشتري الزبيب فينبذه في ماء زمزم ويسقي الناس.

وقال ابن إسحاق: ثم ولي السقاية من بعد عبدالمطلب ولده العباس وهو يومئذٍ من أحدث إخوته سنًّا، فلم تزل بيده حتى قام الإسلام وهي بيده[١].

وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى العباس فسقاه، ورآهم يعملون ويسقون زمزم فقال: «**اعملوا فإنكم على عمل صالح**» ثم قال: «**لولا أن تغلبوا لنزلتُ حتى أضع الحبل على هذه**»[٢] يعني عاتقه، وأشار إلى عاتقه.

قال ابن حجر نقلاً عن ابن المنير: يحمل الأمر في مثل هذا

---

(١) سيرة ابن إسحاق للإمام محمد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله. نشر الوقف للخدمات الخيرية بتركيا.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب سقاية الحاج (٣/ ٤٩١ فتح).

(يعني السقاية وشرب رسول الله ﷺ منه) على أنها مرصدة للنفع العام، فتكون للغني في معنى الهدية وللفقير صدقة[١].

فدلَّ الحديث على أن سقاية الحاج عمل صالح وخدمة من الخدمات التطوعية التي تشرَّف بها بنو هاشم وحثَّ ﷺ على المداومة على هذا العمل.

ثالثاً: مجال الرعاية التعليمية:

لقد وصف الله تعالى نبيّه ﷺ بأنه «**يعلِّمهم الكتاب**» فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]. ولقد أولى ﷺ التعليم أهمية بالغة فعلَّم آيات من القرآن الكثير من الصحابة بنفسه، **بل ورد في «الإصابة» أن شهاباً القرشي مولاهم نزيل حمص أقرأه النبي ﷺ القرآن كله، فكان عامة الناس بحمص يقرءونه منه**[٢]. ولم يأخذ الرسول ﷺ أجراً على تعليم صحابته القرآن وغيره؛ لأن التعليم من أصل وظيفته التي حدَّث عنها القرآن بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولعلَّ عبادة بن الصامت رضي الله عنه بدأ بتعليم بعض أهل الصفة الكتابة والقرآن متطوعاً، ثم عندما قبل هدية أحدهم

---

(١) فتح الباري (٣/ ٤٩٢).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٥٩).

وبّخه الرسول ﷺ لكي يدرِّبه على الثبات في عمله التطوعي وعدم أخذ الأجرة؛ إذ إن الأصل في التعليم جواز أخذ الأجرة عليه؛ لقوله ﷺ: «**أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله**»[(١)]، فقد ذكر الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: علَّمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً فقلت: ليست لي بمال وأرمي عنها في سبيل الله تبارك وتعالى، فسألت النبي ﷺ فقال: «**إنْ سرَّك أن تطوق بها طوقاً من نار فاقبلها**»[(٢)]. فدلّ الحديث على تطوع عبادة بن الصامت رضي الله عنه في تعليم الكتابة والقرآن.

ولنا في رسول الله ﷺ وصحبه الكريم قدوة في عملهم وتطوعهم في مجال التعليم والتربية.

رابعاً: في مجال الرعاية الاجتماعية:

فيما وقفت عليه من نصوص السنة النبوية ومن خلال دلالاتها يمكنني تصنيفها إلى عدة فروع في مجالات الرعاية الاجتماعية، فهناك نصوص دلَّت على الخدمة التطوعية في:

أ ـ رعاية الأيتام والأرامل والمساكين:

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب (١٦)، (٤/ ٤٥٢ فتح).
(٢) المسند (٥/ ٣١٥).

ﷺ: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه**»[(١)].

فالحديث يدل على فضل الإحسان إلى اليتيم عموماً.

وقوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى**»[(٢)]. وجاءت من رواية البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مفسرة بقوله: «**من كفل يتيماً ذا قرابة أو لا قرابة له**»[(٣)] فيفهم من الحديث أن الأجر ثابت لكفالة ورعاية اليتيم القريب الواجب النفقة عليه، وكذلك لغير القريب الذي نفقته غير واجبة وإنما القيام بها تطوع، وبهذا فالتطوع يثبت في رعاية الأيتام والمساكين الذين لا تربطه بهم قرابة تجب بها النفقة عليهم.

روى أبوهريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار**»[(٤)]، وفي رواية أخرى: «**الساعي على الأرملة**

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، ح(٣٦٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد في الأدب، باب فضل من يعول يتيماً (١٠/ ٤٣٦ فتح).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (٩/ ٤٩٧ فتح)، ومسلم في الزهد،ح(٤١)، (٤/ ٢٢٨٦)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٣١).

والمسكين له صدقة»[١].

فالحديث بروايته الثانية يدلّ على أن السعي في شئون ومصالح الأرامل والمساكين له أجر وهو تطوع بدلالة كلمة «صدقة» بوضعها اللغوي.

ب ـ رعاية المعوقين وتأهيلهم:

جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أبواب الخير لكثيرة**» فذكر منها: «**وتسمع الأصم وتهدي الأعمى**»، وقال في آخر الحديث: «**فهذا كان صدقة منك على نفسك**»[٢]. وجاء في رواية الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**وبيانك عن الأغتم صدقة**»[٣]. وجاء في رواية أخرى له أيضاً: «**وتهدي الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه**»[٤].

وليس أدل من هذه الروايات على رعاية وتأهيل المعوقين من الصم والبكم والعمى من قوله: «**تسمع الأصم وتهدي الأعمى**» فالعبارة عامة تشمل الإسماع مباشرة أو عن طريق غير مباشر بإجراء عملية أو بواسطة أجهزة وغيرها، وأن في هذا

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٤٩٩).
(٢) ابن حبان (٨/ ١٧١)، ح(٣٣٧٧) وسنده صحيح.
(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ١٥٤).
(٤) المسند (٥/ ١٦٩).

العمل أجراً، والقيام به تطوع بدلالة كلمة «صدقة» بوضعها اللغوي.

جـ ـ إصلاح ذات البين:

فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كلُّ سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة**»[١]. قوله: «**تعدل**» معناه تصلح، والحديث فيه دلالة على أن من أصلح بين اثنين كانا متهاجرين أو متخاصمين أو متحاكمين فله أجر وهو تطوع بدلالة «**صدقة**» بوضعها اللغوي.

خامساً: الرعاية الطبية:

باستعراض سيرته ﷺ نجد أنه باشر التطبيب بنفسه، وذلك بتشخيص المرض ووصف العلاج في كثير من الحالات، ووضع أُسس وقواعد الوقاية الصحية، ورقى كثيراً من المرضى، واستخدم الطب النفسي في علاجه، وليس أدلّ على ذلك كله من وجود مصنفات كثيرة ألفت في الاهتمام «بالطب النبوي» بلغت أكثر من (٢٨) مصنفاً[٢]. **ولم يثبت فيما قرأت**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب (١١)، (٥/٣٠٩ فتح)، والإمام أحمد في المسند (٢/٣١٦، ٣٥٠).

(٢) انظر: مقدمة كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية، تحقيق: د. قلعجي (٥٦ ـ ٥٨).

أنه ﷺ أخذ أجراً على ذلك، وإن أخذ بعض صحابته على الرقية أجراً[١] إلا أن هناك بعض الصحابيات ومنهن رفيدة الأسلمية كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها[٢].

ولعل الصحابيات اللائي خرجن مع رسول الله ﷺ في غزواته يداوين الجرحى ويسقين الماء كالربيِّع بنت معوذ[٣] وأم عطية الأنصارية[٤] وأم سنان الأسلمية[٥] ونسيبة المازنية[٦] خرجن متطوعات في سبيل الله؛ إذ ثبت أن الرسول ﷺ كان يرضخ لهن من الغنيمة أي: يعطيهن شيئاً منها، ولم يقسم من الغنيمة إلا لكعيبة بنت سعد الأسلمية حيث كان لها في غزوة خيبر خيمة تداوي المرضى والجرحى، فأسهمها الرسول ﷺ بسهم رجل[٧]، ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الذين تطوعوا في الخدمة الطبية أسوة حسنة.

---

(١) فقد رقى أبوسعيد الخدري سيد حي من أحياء العرب من لدغة بفاتحة الكتاب، وأخذ عليها قطيعاً من شاء. الحديث أخرجه البخاري في الطب، باب (٣٣) (١٠/ ١٩٨).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٠٢).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٠٠).
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٧٦).
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٦٢).
(٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤١٨).
(٧) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٩٦).

سادساً: التدريب المهني والتأهيل:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان والجهاد في سبيل الله**». قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند الله وأكثرها ثمناً**». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين صانعاً أو تصنع لأخرق**». قلت: يا رسول الله، إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرَّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**»[1].

قوله: «**تعين صانعاً**» يدل على التدريب المهني، إذ الصانع يحتاج إلى تدريب ليحسن مستوى أدائه. وقوله: «**تصنع لأخرق**» أي تعلِّمه صنعة، والأخرق هو الذي ليس في يده صنعة، وقد يكون لنقص قدراته فيحتاج إلى تأهيل.

وجاء في رواية ابن حبان في آخر الحديث: فقلت: يا رسول الله، إن هذه الكلمة تيسير. فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله إلا**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، ح(١٣٦)، والإمام أحمد في مسنده (٥/ ١٥٠)، وأخرجه البخاري في العتق، باب أي الرقاب أفضل (١٤٨/٥ فتح) وعنده «ضائعاً» بدل «صانعاً» وقد صحفه هشام كما قال الزهري وابن المديني، وقال الدارقطني: الصواب «صانعاً» بالصاد المهملة لمقابلته بالأخرق وهو الذي ليس بصانع ولا يحسن العمل.

أخذت بيده يوم القيامة حتى تدخله الجنة»[١]. فدلَّ الحديث على فضل التطوع في تدريب الصانع وتأهيل الأخرق وأن ثوابه الجنة.

سابعاً: خدمة البيئة وتنمية المجتمع:

ويندرج في مجال خدمة البيئة: التطوع في إزالة الأذى عن الطريق، وتنظيف المساجد والاعتناء بها، وتشجير الشوارع والغابات، وحفر الآبار، وتوفير المياه.

وأما في مجال تنمية المجتمع فيندرج فيها: قرض الدراهم، ومنيحة الشاة والبقر لحلبها والدواب عموماً للاستفادة منها فيما أعد لها، وبناء المساجد وملحقاتها والأوقاف.

هذه هي المجالات التي وردت فيها نصوص من السنة فيما وقفت عليه، وسأقتصر على ذكر بعض النصوص الصريحة الدلالة خشية الإطالة.

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[٢]. وفي رواية أبي ذر رضي الله عنه: «**فهو صدقة منك على نفسك**»[٣]. وجاء من حديث

---

(١) ابن حبان (٢/ ٩٦)، ح(٣٧٣).

(٢) البخاري في الصلح، ح(٢٧٠٧)، ومسلم في الزكاة، ح(١٠٠٩)، والبيهقي في السنن (٤/ ١٨٧).

(٣) ابن حبان (٨/ ١٧١)، ح(٣٣٧٧).

عائشة رضي الله عنها: «**من عزل عظيماً عن طريق الناس، وعزل حجراً عن طريقهم؛ فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار**»[١].

وجاء في الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة**»[٢]. وعن معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «**من بنى بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غراساً من غير ظلم ولا اعتداء؛ إلا كان له أجر جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن**»[٣].

ومن حديث جابر مرفوعاً «**من حفر بئر ماء لم يشرب منه كبدٌ حرَّى من جن ولا إنس، ولا سبع ولا طائر، إلا آجره الله يوم القيامة**»[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أتدرون أي الصدقة أفضل أو أخير؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**المنيحة تمنح**»[٥]، أو قال: «**المنيحة أن يمنح أحدكم أخاه**

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (١٠/ ٤٣٨ فتح).

(٣) المسند للإمام أحمد (٣/ ٤٣٨) بإسناد جيد.

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ٣٣٢).

(٥) المنيحة: تطلق على عطية الشاة ينتفع بحلبها ووبرها زمناً ثم ترد.

الدرهم أو ظهر الدابة أو لبن الشاة أو لبن البقرة»(١).

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها أو تصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة**»(٢).

ودلالة الأحاديث على التطوع في الأعمال المذكورة واضحة لا تحتاج إلى تفصيل.

ثامناً: الإغاثـــة:

دلّ عليه قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**تعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة**»، وفيه دلالة على الإغاثة العاجلة، وأيضاً ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى مرفوعاً: «**على كل مسلم صدقة**» قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**». قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليمسك عن الشر فإنه صدقة**»(٣). وفي حديث أبي ذر: «**وتسعى بشدة ساقيك مع**

---

(١) المسند للإمام أحمد (١/ ٤٦٣) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في الهبة، باب فضل المنيحة (٥/ ٢٤٣ فتح)، وأبوداود في الزكاة ح(١٦٨٣)، والإمام أحمد (٢/ ١٩٤، ١٩٦) المسند.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة، باب على كل مسلم صدقة (٣/ ٣٠٧)، ومسلم في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من معروف =

اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»[١].

تاسعاً: الرفق بالحيوان:

ودلّ على التطوع في هذا المجال ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغني، فنزل البئر فملأ خُفّه ثم أمسكها بفِيه فسقى الكلب؛ فشكر الله له فغفر له**» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «**في كل كبد رطبة أجر**»[٢].

فالرجل عندما سقى الكلب لا يتصور أنه كان ينتظر أجرة منه على سقيه، فعمله هذا يكون تطوعاً وإحساناً إليه.

فالحديث دلّ على أن التطوع بالإحسان إلى البهائم فيه أجر. وجاء في رواية أخرى: «**هذا الرجل دخل الجنة**»[٣] أي بعمله ذلك.

= (١٠٠٨).

(١) أخرجه ابن حبان، ح(٣٣٧٧)، (٨/ ١٧١).

(٢) أخرجه البخاري في المساقاة، باب فضل سقي الماء (٥/ ٤١ فتح).

(٣) فتح الباري (٥/ ٤٢).

هذه جملة من المجالات التي وقفت عليها من خلال نصوص السنة النبوية التي تيسر لي الاطلاع عليها، ولعله بالبحث نصل إلى نصوص أخرى تفتح مجالات أخرى غير ما ذُكر. وقوله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً**»[١]، وقوله: «**كل معروف صدقة**»[٢] بعمومهما يشملان جميع أعمال البر والخير والإحسان وجميع المجالات الأخرى التي قد تفوت الإنسان عند الحصر.

* * *

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٦٣) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب كل معروف صدقة، ح(٦٠٢١ فتح)، والإمام أحمد (٤/ ٣٤٤، ٣٦٠).

خلاصة البحث وأهم التوصيات

(١) الخدمات وما في معناها من أعمال البر والإحسان والخير والمعروف، والتطوع وما في معناه: من التنفل والتبرع والحسبة والتصدق.

بالتعرف على معاني هذه الألفاظ اتضح معنى الخدمة التطوعية، وتحدد مفهومها في الإسلام بأنه فعل الخيرات والمبرات وإيصال المنافع، والإنعام على الغير والإحسان إليهم بدون غرض دنيوي ابتغاء مرضاة الله ونعيم الجنة.

(٢) **تبرز أهمية الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة من خلال الآيات والأحاديث الواردة في التنويه بشأنها وعظيم فائدتها**، ومعرفة فضائل العمل التطوعي، وأنه يورث محبة الله للعبد، ويحصل به على الخير والحسنات في الدنيا، وينال به الأجر العظيم في الآخرة.

وكذلك الوقوف على آثار وثمرات الخدمة التطوعية على الفرد والمجتمع وضح أيضاً ما للخدمة التطوعية من أهمية في الإسلام.

(٣) **نصوص القرآن الكريم أشارت بإجمال إلى الخدمة التطوعية وأعمال البر والإحسان، وأما نصوص السنة النبوية فقد فصَّلت مجالات الخدمة التطوعية في الإسلام، وشملت**

أغلب المجالات في الحياة مثل: التطوع في مجال الدعوة والإرشاد، وخدمات الحج والعمرة، ومجال الرعاية التعليمية والاجتماعية والصحية، ومجال التدريب المهني والتأهيل، والتطوع في مجال خدمة البيئة وتنمية المجتمع، والإغاثة، ومجال الرفق بالحيوان.

(٤) أوصي بالقيام بدراسات متخصصة وأبحاث عديدة واجتماعات وندوات تجمع المهتمين في مجال الخدمة التطوعية للعمل على تطبيقها في واقعنا العملي.

(٥) أوصي بالقيام بدراسة وضع برنامج عن الخدمة التطوعية في مادة التربية الوطنية لطلاب المدارس لتصبح ضمن مقررات المنهج الدراسي.

* * *



المصادر

- الآداب للبيهقي، دار الكتب العلمية، محمد عبدالقادر عطا، ١٤٠٦هـ.
- الأدب المفرد للبخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر.
- أسباب النزول للواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي.
- إنباه الرواة للقفطي.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
- التدوين في أخبار قزوين للرافعي، نشر عزيز الله العطاردي.
- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية لعلي بن محمد الخزاعي، دار الغرب الإسلامي.
- الترغيب والترهيب للمنذري، مكتبة الغزالي، دمشق.
- تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها، لحماد بن إسحاق بن إسماعيل، ط١، ١٤٠٤هـ، بيروت.
- تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر، ط١.
- تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- تفسير البغوي، حاشية تفسير الخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- تفسير الثعالبي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.

- **تفسير الحسن البصري**، جمع وتحقيق: د. عمر يوسف كمال.
- **تفسير الدر المنثور للسيوطي**، دار الفكر، ط١.
- **تفسير الرازي «مفاتيح الغيب»**، دار الفهد العربي، القاهرة، ط١.
- **تفسير الشوكاني، «فتح القدير»**، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة.
- **تفسير الطبري**، دار المعرفة، بيروت.
- **تفسير ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق.
- **تفسير القاسمي**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- **تقريب التهذيب**، تحقيق: أحمد عوامة.
- **تهذيب التهذيب لابن حجر**، دار الفكر العربي.
- **الثقات لابن حبان**، تصوير مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١.
- **جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي**، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **جزاء قضاء حوائج الإخوان للنرسي**، تحقيق: عامر صبري.
- **الجليس الصالح الكافي**، لأبي الفرج النهرواني، تحقيق: محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت.
- **حلية الأولياء لأبي نعيم**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الزهد لابن المبارك**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- **الزهد للإمام أحمد**، نشر المكتبة العلمية، بيروت، ط١.
- **الزهد لهناد بن السري**، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي، دار الخلفاء.
- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر.

- **سنن الدارمي**، طبع بعناية محمد أحمد الدهمان، دار الكتب العلمية.
- **السنن الكبرى للبيهقي**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند.
- **سيرة ابن هشام**.
- **شعب الإيمان للبيهقي**، ت/ مختار أحمد الندوي، دار الكتب العلمية.
- **صحيح البخاري**، الطبعة اليونينية.
- **صحيح مسلم**، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي.
- **ضعفاء العقيلي**، تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين السبكي، ت/ د. محمود محمد الطناحي، د. عبدالفتاح محمد الحلو.
- **فتح الباري**، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي.
- **فضائل الصحابة للإمام أحمد**، تحقيق: د. وصي الله عباس.
- **الكامل في الضعفاء**، لابن عدي، دار الفكر، بيروت.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي**، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي.
- **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- **مسند أحمد**، تصوير المكتب الإسلامي ودار صادر.
- **مسند الطيالسي**، للحافظ أبي داود الطيالسي، دارالمعرفة، بيروت.
- **المجتبي**، للنسائي تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبوغدة.
- **المجروحين**، لابن حبان، ت/ محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.

- **مجمع الزوائد للهيثمي**، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **مسكويه**، طبعة مصطفى البابي الحلبي.
- **مسند أبي يعلى**، تحقيق/ محمد أسد، ط١، دار المأمون للتراث.
- **مسند الشهاب القضاعي**، تحقيق: حمدي السلفي.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، نشر الدار السلفية.
- **معجم شيوخ ابن جميع**، ط١، بيروت.
- **المعجم الصغير**، تصحيح: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية.
- **المعجم الكبير للطبراني**.
- **معرفة القراء الكبار للذهبي**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.
- **مكارم الأخلاق للطبراني**، دار الكتب العلمية، ت/ محمد عبدالقادر عطا.
- **المنتظم لابن الجوزي**.
- **موضح أوهام الجمع والتفريق**، للخطيب، دار الفكر الإسلامي، ط٢.
- **ميزان الاعتدال للذهبي**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة.
- **نظام الحكومة الإسلامية المسمى «التراتيب الإدارية»**، للشيخ عبدالحي الكتاني، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
- **نظم الدرر، للبقاعي**، حيدر أباد، الهند، ط١.
- **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

* * *



الفهــرس

* * *